

لن نُصَابَ بِمَثَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ (\*) المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي



لن نُصَابَ بِمَثَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ (\*) المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سادة الخلق أجمعين أبي القاسم محمد المبعوث رحمة للعالمين وآله الطيبين الطاهرين.

تستوقفنا في ذكرى وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عدة أمور:

(الأول) كانت وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) شهادة على أن البقاء لله وحده قال تعالى: [إِنَّ رَبَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّ نَبَّهُمْ مَيِّتُونَ] (الزمر: 30) وقال الإمام الحسين (عليه السلام) ليلة عاشوراء لأخته



(الرابع) انفتاح باب الظلم والعدوان على آل بيت النبي (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وقد قال (صلى الله عليه وآله وسلم) لأهل بيته: (أنتم المستضعفون بعدي) وحصل ما حصل على دار علي وفاطمة (صلوات الله عليهما وآلهما) -لذا لا يكاد ينفك الحديث عن وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الحديث عما تعرضت له الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) - مخالفين بذلك قول الله تبارك وتعالى: [قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرًا إِلَّا لِيُؤَدَّوْا إِلَيْكُمْ وَتَكُونُوا رَشِدًا] (الشورى: 23) ووصايا نبيه الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) الكثيرة.

(الخامس) الانقلاب على الأعقاب ومخالفة وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في أمير المؤمنين (عليه السلام) بالإمامة والخلافة، قال تعالى: [وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَإِنِّي لَأَكْرَهُهُ فَلِإِنَّهُ لَشَدِيدٌ عَلَيْكُمْ وَوَاعظني] (آل عمران: 144) وهذه أهم قضية بلاغها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأدائها عن ربه بنص القرآن الكريم قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ لَ تَكُنْ مِنَ الْخَالِفِينَ] (المائدة: 67).

وكل وا

حد من هذه الأمور يستحق أن نطيل الوقوف عنده والتأمل فيه، ولكن الوقت لا يسع لذلك فنقتصر على الأخير لأهميته.

إن قضية الإمامة والخلافة أعظم قضية في الإسلام فهي مفتاح كل خير لو أن الأمة اهتدت إليها وأخذت بها، ومفتاح كل شر -والعباد با- من سفك دماءٍ وتخريب ديار وانحرافٍ عن الدين، عندما يتخلفون عنها، وقد كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بدأ التصريح بها والدعوة إليها منذ أيام الإسلام الأولى عندما نزلت الآية الشريفة [وَأَنْزَلْنَاكَ الْأَقْرَبِينَ] (الشعراء: 214) فقد روى الفريقان أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جمع بني عبد المطلب وكانوا أربعين رجلاً ودعاهم إلى الإيمان ومؤازرته واختار علياً ليكون وصيه وخليفته ([5]) ثم والى (صلى الله عليه وآله وسلم) الإعلان والتبليغ بها حتى دعاه الله تبارك وتعالى إلى إكمال الدين وإتمام النعمة بإلزام المؤمنين بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) في غدير خم قبل وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) بشهرين وعشرة أيام، لكن بعض

الصحابة ولأسباب معلومة نكثوا البيعة، وعندما حاول (صلى الله عليه وآله وسلم) تأكيدها قبل وفاته بأربعة أيام أي يوم الخميس الذي سبق وفاته يوم الاثنين حصل لغط وخلاف بين الصحابة فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم: قوموا، ثم أوصى أهل بيته بالاستعداد للبلاء واتخاذ الصبر جلباباً، هذه الحادثة التي أطلق عليها عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن: (رزية يوم الخميس) لأنها أساس المصائب والانحراف عن خط الرسالة.

الانحراف الذي بدأ -كأي خط مائل عن الخط المستقيم- يسيراً ثم ازداد بعداً كلما تقدم الزمن فبدأت عرى الإسلام تُنقَضُ، ومقدساته تنتهك ولم تبق حرمة له حتى آلت الخلافة إلى أناس يقتلون أولاد النبيين ويحرقون الكعبة ويشربون الخمر ويفعلون المنكرات جهاراً على منابر المسلمين، ونشأت أجيال من المسلمين لا تفقه من أحكام الإسلام شيئاً لأن الناس على دين ملوكهم، ولا سبيل للوصول إلى الأئمة الهداة الحقيقيين فهم معتقلون ومعذبون ومحاصرون، وكان الداخلون الجُدد في الإسلام من الأمم التي غزاها المسلمون لا يرون من الإسلام إلا ما يظهر على سلوك الأمراء، ولولا جهاد وجهود الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) والثلة المباركة من أصحابهم لما بقي للدين عين ولا أثر كأبان بن تغلب الذي قال فيه الإمام الصادق (عليه السلام) لما بلغه موته: (لولا أبان لمات فقه أبي).

وكان لهذا الانقلاب على وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مستحقي الإمامة والخلافة من بعده وإقصاء القادة الحقيقيين للأمة آثاراً [6] كارثية وويلات عظيمة على الأمة:

(منها) تصدي غير المؤهلين للخلافة بل الفاسدين من بني أمية وبني العباس وأضرابهم مما أدى إلى:-

1- تشوّه صورة الإسلام نفسه لأن أي دين أو نظام أو أيديولوجية تُقَيِّم من خلال سلوك القائمين عليها لعدم التفكيك بين النظرية والممارسة والتطبيق، فلما يتصدى للحكم باسم الإسلام قتلةٌ ومجرمون وفاسدون فإنهم يشوّهون صورته.

2- طمع أعداء الإسلام في الكيد له واستئصال قواعده وتعاليمه حيث وجدوا لهم منفذاً بل خطوة لدى أولئك المتسلطين الجابرة.

3- ضياع مقاييس ومعايير الاستحقاق لهذا المنصب العظيم فأصبحت هدفاً لكل الطامعين في السلطة والحكم ولو بالقهر والسيف ما دام الحكم لمن غلب.

(ومنها) ابتداء وسائل من صنع الإنسان للوصول إلى التشريعات كالقياس والشورى وأمثالها لابتعادهم عن مصادر التشريع الأصلية ولحاجتهم إلى قوانين تؤمّن لسلطتهم وتعطيهم الشرعية؛ لذا تبدلت الأحكام وصارت القوانين التي تحكم الحياة وضعية وليست إلهية.

(ومنها) عرقلة تربية البشرية وتكاملها، لأن المعلم يجب أن يكون عالماً والواعظ مدّعماً والمصلح صالحاً فكيف يربي الأمة من يتبع هواه ويطلق لنفسه الأمانة بالسوء العنان وقد جعل الشيطان ولياً له من دون الله العظيم فافتقدت الأمة الأسوة الحسنة والمربي الصالح الحنون إلا القليل ممن اهتدى إلى الحق ورزقه الله اتباعه، وعلى العكس من ذلك فقد شجعت تلك السلطات الفساد والانحراف وكانت تمارسه علناً وتوفّر أسبابه.

(ومنها) تمزّق الأمة وتشتتها إلى فرق وأحزاب وطوائف متناحرة يستحل بعضهم دماء البعض الآخر [كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ] (المؤمنون: 53) ولم يلتفتوا إلى وصية الله تبارك وتعالى: [وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا] (آل عمران: 103) وقوله تعالى: [وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ] (الأنفال: 46) وقد فسّرت الأحاديث الشريفة حبل الله بالقرآن الكريم وعتره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته.

(ومنها) انحسار دور الدين عن التأثير في حياة الأمة، فبعد أن كانت رسالته تنظم شؤون الحياة كلها اقتصر أثره على عدد من المتدينين من خلال طقوس وعبادات يؤدونها، وقد عمل الطغاة على ذلك لأنهم يعلمون أن إعطاء دور شامل للدين يعني الحاجة إلى الرجوع إلى القيم الحقيقية عليه مما يعني خسارة الحكام الجائرين

لسلطتهم ومواقعهم فقرروا عزل الدين ليعزلوا أئمتهم والأدلاء عليه.

(ومنها) تأخر ركب الحضارة الإنسانية، لأن أوصياء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان لديهم كل ما تحتاجه البشرية من علوم وقد احتوت المصادر على نظريات علمية في الفيزياء والفلك والرياضيات والفلسفة والكيمياء والطب وغيرها لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) (راجع كتاب قضاء أمير المؤمنين (ع) وتوحيد المفصل ورسائل جابر بن حيان في الكيمياء) فلو أُتيحت الفرصة لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) لإظهار علومهم وثبت لهم الوسادة، لما احتجنا إلى أربعة عشر قرناً لنصنع الطائرة

والكومبيوتر والإنسان الآلي والتكنولوجيا النووية وغيرها مما يضمن للبشرية حياةً أفضل وأهنأ وأسعد.

وعلى أي حال فقد كانت خسارتنا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عظيمة بعظم النتائج التي حصلت بوفاته (ص) فما أصيبت البشرية بمثل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى مثله فليكن الباكون وليندب النادبون:

أَنسَتَ رَزِيَّتُكُمْ رَزَايَا النَّبِيِّ سَلَفْتَهُ وَهُوَ نَبِيُّ الرَّزَايَا الْآتِيَةِ

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(\*) حديث سماحة الشيخ اليعقوبي من قناة (أهل البيت) الفضائية ليلة وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في 28/صفر/1430.

[1] نهج البلاغة، الخطبة 182، صفحة 262، شرح د. صبحي الصالح، الطبعة الأولى، بيروت 1967.

[2] نهج البلاغة، الخطبة 160، صفحة 226-228.

[3] الميزان في تفسير القرآن، في ذيل الآية 33 من سورة الأنفال.

[4] الميزان في تفسير القرآن: 9/86.

[5] الميزان في تفسير القرآن: ذيل تفسير الآية 214 من سورة الشعراء.

[6] تجد تفصيل هذه النقاط في خطاب سابق لسماحة الشيخ اليعقوبي بعنوان (ماذا خسرت الأمة حينما ولت أمرها من لا يستحق) وهو منشور في كتاب (الأسوة الحسنة).

